عرض كتاب

Poisoned Wells: The Dirty Politics of African oils

الآبار المسمومة: السياسة القذرة للبترول الإفريقي

عرض البروفيسور حسن مكي محمد أحمد*

هذا عنوان الكتاب الصادر في عام 2007 للباحث والصحفي الانجليزي شاكسون Nicholas Shaxson, الذي صدر عام 2007 , من دار Palgrave , U.S. A والذي يقع في نحو مأتين وثمانين صفحة وهو من الكتب التي لايستغني عنها مهتم بالشئون الإفريقية أو شئون النفط أو السياسة الدولية .

ويتناول الكتاب قصة النفط في عدد من الدول الإفريقية ، كنيجيريا ، وأنجولا ، والجابون وغينيا الاستوائية والكنغو برازفيل وهي مستعمرات انجليزية وبرتقالية وفرنسية وتصدر غرب إفريقيا إلي الولايات المتحدة وحدها مليوني برميل من النفط يوميا إي ماقيمته 180 مليون دولار يوميا " ستين بليون دولار سنويا "

وتتنافس الشركات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية والاوربية على الهيمنة على مستقبل النفط في هذه المنطقة ، مما دفعها لاستخدام كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة للاستحواذ على التراخيص والامتيازات للتنقيب في بيئة هشة مفككة حبلي بالصراعات العرقية والإثنية والايدلوجية ونخب منفصمة، ليس لها ولاء إلا لذاتها وطموحاتها ، مما جعل قصة النفط في هذه المناطق خراباً وشراء ذمم وفساداً وحروباً وانتفاخاً لجيوب المافيا ودماراً للإنسان والبيئة.و أصبح البترول النعمة نقمة أو كارثة. وأصبح مثله مثل السرطان في جسم اقتصاد هذه الدول وأدى لتآكل الزراعة وتناقص الاعتماد على النفس. بل شبه

* عميد مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية

بالهيروين أو المخدرات في تأثيره على اقتصاديات وسلوك النخبة.وذٌ ه كان من الأفضل ألا يظهر. ولنستعرض قصة الكتاب بإيجاز فبركة الكلام في قلته .

في عام 2005م استوردت الولايات المتحدة نفطا من إفريقيا، أكثر مما استوردته من الشرق الأوسط ، وفي السنوات الخمس الأخيرة ، استحوذت إفريقيا على ربع الاكتشافات البترولية الجديدة على مستوي العالم والخط في اتجاه الصعود . كما ازداد اهتمام الصينيين ، حيث نزل الر ئيس هو جنتاو الصيني على الجابون تحت شعار صداقة بدون ضغوط سياسية ، وفي ذات عام 2005 ارتفعت أسعار البترول إلى مايزيد 50 دولارا ، حينما هدد ثائر نيجيري مسلم وهو الحاج مجاهد دوكابو اساري ، بتدمير خطوط النفط النيجيري ، نسبة لأن عائدات النفط لاتذهب للمستضعفين النيجيريين الذين يتجاوزن التسعين مليونًا من البشر . ومع ازدياد تدفق النفط ، تدنى الإنتاج الزراعي والحيواني وازدادت معدلات الفقر كما أصبح النفط مهددا للحريات والديمقراطية،واقتصاديات السوق الحر ليس علىمستو ى إفريقيا فحسب ،بل علىمستو ى العالم.

ويشير إلى قصة الفنان النيجيري ، فيلاكوتي ،Fela Kuti الذي أصاب شهرة كبيرة في نيجيريا، حتى طار صيته، مثل بوب مورلي، والفس برسلي، وكلاي . وهو كذلك ابن أخت الكاتب النيجيري الشهير سوينكا الذي نال جائزة نوبل للسلام – ومات هذا الفنان من الايدز وهو يشحن الجماهير على مافيا النفط، التي حولت نيجيريا إلى شركة فساد إجرامية سيئة الإدار ة. فقد نهبت أربعمائة بليون دولار من عائدات النفط. بينما أصبح النفط يمثل 97% من صادرات نيجيريا – وزاد التوتر بين قوميات نيجيريا الأساسية ، الهوسا واليوربا واجبوز واجاوز وغيرهم .

تم اكتشاف النفط في نيجيريا في عام 1956م ولتقسيم عائدات النفط تّم تقسيم نيجيريا من ثلاث ولايات إلي 36 ولاية وأدى النفط إلى الحرب الأهلية – حرب بيافرا ووقفت فرنسا ديجول مع بيافرا طمعا في النفط ،ومات في حرب بيافرا مليون نيجيري – وارتفع إنتاج نيجيريا من النفط من 150 إلف برميل عام 1968 ، إلي نصف مليون عام 1971م، إلى مليونى برميل يوميا ابتداء من عام 1973م ونتيجة لحرب اكتوبر 1973م

والإطاحة بالشاه في عام 1979 والحرب العراقية / الايرانية تضاعفت أسعار النفط . وأصبحتإلكال نيجيريا ليس المال ولكن كيفية السيطر ة عليه ، ونتيجة للنفط وقعت سلسلة من الانقلابات في نيجيريا ، ابتداء بمقتل السردونا ثم انقلاب الجنرال كوون، ثم انقلاب محمد مرتضى الله، والذي اغتيل كذلك في فبراير 1976م، وجاء بعده اوبسانجو، ونتيجة للنفط انخفضت المساحات المزروعة بالكاكاو إلي 60% .

ولامتصاص عائدات النفط ، تم بناء عاصمة جديدة هي أبوجا ،وبناء مصانع ضخمة -لكنها فاشلة - للفولاذ والصلب ، بينما زادت نسبة الفقر من 35% إلي 70% ،ولكن أكان سبب الكارثة إنسان نيجيريا؟أم الشر كات الأجنبية؟ أم نزول الثروة فجأة ؟ ولكن لماذا لم يحدث ما حدث في نيجيريا والجابون وغينيا الاستوائية وانجولا في ماليزيا واندونيسيا ؟، حيث أدى النفط إلى ازدهار اقتصادي، ورخاء وظهرت بركاته على الجميع، وقد حدث كذلك في الكنغو برازفيل، ونحاول أن نستلهم الدرس الذي يتناول قصة النفط الإفريقي، وما يكتنفه من سياسات قذرة .

يخلط الناس مابين غينيا الاستوائية ،والتى هي دولة إفريقية تقع في خليج غينيا، أي جزيرة في المحيط الأطلسي، مابين الجابون والكمرون ،وعاصمتها مالابو، ولغتها الإسبانية، لأنها كانت مستعمرة اسبانية ، ودولة غينيا بيساو،وقد كانت سابقا مستعمرة برتقالية ،وتقع مابين السنغال وغينيا، ودولة غينيا كوناكري صاحبة الاسم، والتي كان يرأسها الرئيس أحمد سيكتوري، وغينيا الجديدة التي هي أقرب لجزر الكاريبي منها لإفريقيا، وبالمناسبة حتي اسم الجنيه مستمد من كلمة غينية، لأن أمبراطورية غينيا كانت غنية بالذهب ، لذا اشتق اسم المثقال الذهبي " الجنيه " منها إشارة إلى عزته وقوته .

ولكن الكلام هنا يدور حول غينيا الاستوائية ، التي أصبحت مثار اهتمام السياسة الأمريكية ،والشركات الامريكية، لأن خليج غينيا الاستوائية يعوم في بحيرة نفطية، ولأن مشروع أمريكا الاستراتيجي للبترول الإفريقي يقوم على مد أنبوب نفط واحد ، يجتمع فيه بترول السودان وتشاد والكمرون والجابون ونيجيريا وخليج غينيا ،ليصدر عبر الاطلسي إلى أمريكا ،وربما يكفي نصف احتياجات أمريكا الجائعة للبترول، وكان الأمريكيون يعتقدون أن

هذا النفط أرخص وأكثر أمنا من نفط الشرق الأوسط ، الذي تحتاج إلى تدفقه للقواعد العسكرية والقوة والاجتياح، ولكنهم الآن انتهوا إلى أن لنفط إفريقيا مشاكله وحروبه، ولابد له من قوة تحميه ، ولذلك تم استحداث القيادة الإفريقية في الجيش الأمريكي، والتي يبحثون لها عن نقطة ارتكاز، ويرون أن أنسب المواقع لها السودان ولكن نعود من هذا الاستطراد لقصة النفط في غينيا الاستوائية .

أذكر أنني كنت في دورة دراسية في باريس ، وكان من بين الحضور أحد قواد الجيش في غينيا الاستوائية ، وحاولت صداقته، وفي ذات يوم ونحن على مائدة الطعام، سألته كم يبلغ إنتاج غينيا الاستوائية من البترول ، فجأ تكهرب الجو، وقال لي هذا من أسرار الدولة، وإنه لايعرف ! ولم أصدقه إلى أن قرأت قصة البترول الذي يديره رئيس الدولة اوبيانج نجويما، الذي وصل للحكم عام 79 من مقره في العاصمة مالابو . وتحيط به شلة مقربة إليه ويتكلم الجميع اللغة الإسبانية .

يقوم نظام الحكم على عائدات البترول وقبضة الدولة البوليسية وتصفية الخصوم جسديا، وحينما نالت غينيا استقلالها في عام 1968 ، نقلت الإدارة الاستعمارية الحكم لطاغوت جاهل اسمه ماكيس نجويما Macias ،والذي أدى وصوله للسلطة لإصابته بجنون العظمة ، حيث قام بقتل عشر شعبه ، أي أربعين ألفاً من أصل أربعمائة ألف نسمة ، كما قتل جميع وزرائه الواحد و العشرين ، وحينما فشل انفصال بيافرا في عام 1970 كانت هناك خطة بديلة لتعويض إيميكا أوجكو رئيس حكومة بيافرا بجعله رئيسا لحكومة غينيا الاستوائية، بديلا لماكيس، ولكن في آخر لحظة ، تم دعم ابن عمه أوبيانج كرئيس بديل .

في منتصف عام 95 أعلنت شركة موبيل أنها وضعت يدها علي حقل زافيرو Zafiro الغني بالنفط، والذي يجلس على بليون برميل، وتم توقيع اتفاقية محاصصة نالت بموجبها غينيا الاستوائية 13% من صافي العائد، والباقي للشركة ، ومافيا النفط والبنوك الممولة .

وليس الوضع في أنجولا بافضل ، حيث كانت تدور الحرب بعد استقلال هذه المستعمرة البرتقالية ، بين حكومة لواندا " عاصمة انجولا " الماركسية التي يرأسها الرئيس جومي ادزاردو دوس سانتوس المتحالف مع الاتحاد السوفيتي، والذي كان يضع يده على الخزان الجوفي البترولي ، وحركة يونيتا UNITA التي يتزعمها الثائر الموالي لنظام جنوب إفريقيا العنصري جوناس سافيمي ، والتي وضعت يدها على حقول الماس والتي قدر لها بليون دولار سنويا.

وبعد أربعمائة سنة من الاستعمار البرتغالي ، أصبح كل أهل انجولا ريفهم وحضرهم الشيوعي والأمريكي يتخاطبون باللغة البرتغالية ، كما أن كثيراً من السكان أصبحت بشرتهم تميل للبياض ، لأنهم ينحدرون من 350 ألف برتقالى مجاور في المجتمع الأنجولي،وتنتج انجولا نصف مليون برميل من النفط الخام ، الذي تستخرجه الحركات الأمريكية، ويصدر لأمريكا، بينما تقوم بحماية منشآتها قوات ثورية كوبية ، وبتحالف نظام لواندا مع السوفيت، ولكن الوجه الغريب الآخر ، أن الغرب يظل يمص البترول ويدعم سافيمبي الذي يجلس على حقول الماس . ولكن أغرب مافي لعبة الأمم هذه، أن سافمبي تم وضع نواة جيشه في علي يد الثائر المقتول في بوليفيا جي جيفار . ومع أن رونالد ريجان استضاف يوما ما في البيت الابيض سافمبي إلا أنه اغتيل بالتعاون بين الاستخبارات الأمريكية والحكومة الثورية التي ظلت تجاهر بماركسيتها وتتحمس لتدفق النفط لأمريكا .

وفي ظل الشيوعية وا إلى مابعد اغتيال سافمبي والتحول 100% في اتجاه أمريكا ظلت مائة أسرة تتحكم في مسيرة انجولا . تدعمها شركة مرتزقة بقيادة بريطاني اسمه سيمون كانت ومرتزق فرنسي شهير اسمه بوب دينارد .وفي ظلّ الحرب زارت الأميرة ديانا الزوجة السابقة للأمير جارلس انجولا بهدف إكمال نزع الألغام ، وأدت تجارة الماس والبترول إلي جعل أنجولا أغلى عاصمة في العالم ، كما ازداد الفقر وهجر الناس الزراعة ليتكدسوا في العاصمة والمدن . وبعد مضي 32 عاما علي استقلال انجولا ، يظل الشعب الأنجولي مهمشا ولايعرف شيئاً عن الماس والبترول . هذا شغل الكبار والشركات الغربية ولعبة

الأمم – وتزداد المأساة بالهجرة إلى المدن والتكدس فيها ، وهجر طرق كسب العيش التقليدية من زراعة ورعي . ومصيبة انجولا ثلاثية ، لأنها أصبحت مجرد هامش للثقافة البرتقالية ، التي وزنها في السياسة الدولية ضعيف ومن الناحية الآخر ىفإن القو ى التي تأكل في خبرات انجولا هي الأنجلوفون والفرانكفون، ذلك لأن انجولا ليس لا ميراث إفريقي تفتخر به، ولا ثقافتها الاستعمارية البرتغالية ترشحها لرصيد في حركة الحداثة، بينما خبراتها منهوبة من قبل الشركات الأمريكية والبريطانية، والتي ترطن بالإنجليزية .

ومن مأساة انجولا إلى ملهاة الرئيس عمر بونغو في الجابون ،وهي مستعمرة فرنسية سابقة ، تقع مابين غينيا الاستوائية والكمرون شمالا والكنغو برازفيل جنوبا،وسكانها مليون وتصف المليون نسمة ، ويسكن ثلثهم في العاصمة ليبرفيل – أي نصف مليون نسمة ،مع أن مساحة الجابون أكبر من بريطانيا ، وأصبح عمر بونغو رئيسا للجابون بعد سبع سنوات من الاستقلال اي في عام 1967م وكان عمره 32 عاما. وحينما ذهب إلى فرنسا شابا ثم تعميده ماسونيا – ثم أصبح الماسوني زعيما ثوريا على النمط الصيني ، حيث زار الصين قبل الاستقلال ثمانى مرات ، وقبل أن يتم تقسيم إفريقيا الفرنسية الاستوائية إلى عدة دول ، منها الجابون والكنغو برازفيل والكمرون ، كان عمر بنقو يعمل في برازفيل وبفضل الماسونية أدخل إلى جهاز الأمن الفرنسي ، وحينما استقلت الجابون ، نصبت فرنسا شخصا من قبيلة الفانج Fang -رئيسا للجمهورية ، وقبيلة الفانج من كبر ى قبائل غرب إفريقيا وهناك نظرية بأن فونج السودان ينتمورإليها ثم نصبت ْ مكانه عمر بنقو ، إذ ينتمي لقبيلة أقل أهمية وأكثر ولاء لفرنسا وهو صاحب شعار " إفريقيا بدون فرنسا ، عربة بدون سائق وفرنسا بدون إفريقيا عربة بدون بترول " .

وكان الرئيس الفرنسي شارل ديجول ، حريصا على الجابون ، ففيها مخزون اليورانيوم ، الذي مكن فرنسا من تطوير قدراتها النووية بتفجير قنبلتها الكريهة في صحراء الجزائر ، كما تحتوي الجابون على مخزون هائل من الحديد والمنجنيز والأخشاب .

ومن اجل خاطر الجابون ولتجاوز احتكار الشركات الانجلو / ساكونية الإخوان السبعة لأمور البترول والطاقة ، قام ديجول بتأسيس الشركة الفرنسية الإفريقية للبترول في

الجابون والمستعمرات الفرنسية ، ولذا حينما اعتقل الرئيس السابق مبا عمر بونقو، نزلت القوات الفرنسية وحررته ثم نصبته رئيسا بعد ذلك .

ومع أن بونقو اعتنق الإسلام وأدخل بلاده إلى منظمة الأوبك في عام 1973م ،إلا أن ذلك لم يزحزح ولاءه لفرنسا ،كما أنه يعمد ومعاونيه كوزراء بعد طقوس وعهود سرية ،ثم يقوم بغسل رجليه بماء ، ويقدمها للوزراء ليشربوها كعربون ولاء . كما يضمن ولاء فرنسا له من خلال الماسون الذين يجزل لهم العطاء والموجودين في كل مفاصل الدولة الفرنسية ، كما لايتردد في تصفية خصومه ،وأحيانا تحت سمع وبصر أجهزة الأمن الفرنسية علي ذات طريقة الأمن المغربي مع المهدي بن بركة ، وأصبحت ليبرفيل بفضل الفساد والسياسات الخرقاء العاصمة الخامسة في الغلاء وارتفاع الأسعار بعد زيورخ وهونج كونج وأوسكا وطوكيو .

ونجح بنقو في عقد مؤتمر القمة الإفريقي في ليبرفيل في عام 1977م كما بنى خط سكك حديدية ، كلف ثلاثة بلايين دولار علما بأن التكلفة الحقيقية قد تكون ربع ذلك – وهكذا تحكم إفريقيا! نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا مأزق الحكم على الطريقة الإفريقية .

تمتقراءة ماجر ى ويجري في نيجيريا وغينيا الاستوائية والجابون نتيجة للنفط ، الذي أصبح مفعوله مفعول الهيروبين من تعطيل للعقل، والقدرات وا ضعاف للإنتا ج الزراعي والاقتصادي ،وشل اقتصاديات الدول النامية ،وجعلها أسيرة سلعة ريعية واحدة، ومن بابها دخل الفساد من كل أبوابه على النخبة الحاكمة .

يبدأ المؤلف بالتذكير بدور القوات الفرنسية، في حرب إبادة التوتسي، الذين أسماهم الثوار التوتسي " المتكلمين بالإنجليزية " ثم يتكلم بمن عده نجم المدار الإفريقي الفرنسي جارلس باسكو Charles Pasque ، والذي أصبح وزيرا للداخلية الفرنسية،والذي جعل من الجابون مركزا لنشاطه في إفريقيا ،ويشير إلى قيام محافظ بنك فرنسا (الماسوني) بإنشاء بنك إفريقيا الدولي French intercontinental Bank of Africa ،ومؤسس البنك بالإضافة له شركة النفط الإفريقية، والرئيس عمر بونقو وأبناؤه، والنخبة الجابونية الحاكمة.

وتصدر الأوامر المالية من الحكام الأفارقة شفاهة للمعاملات المالية، ويتم تنفيذها مع تدمير الوثائق ويأخذ كل حاكم إفريقي عربوناً مالياً يصل إلى نصف دولار عن كل برميل نفط ينتج في بلده. ويضاف إلى حسابه ويعادل ذلك سنويا 120 مليون دولار تدخل في حسابات الحكام الأفارقة المعنيين. وتصل الحلقة حتى إلى رئيس محكمة فرنسا الدستورية الذي هو كذلك ماسوني .

ويقول بأن المهمة الأساسية للقاعدة الفرنسية، التي تضم 650 جنديا فرنسا في الجابون، هي حماية رئيس الجابون عمر بونقو والذي كذلك أصبحت ابنته باسلكين Pascalineعضو ة في مجلس إدارة الشركة الجابونية للبترول ، ويرتبط الفساد المالي بإفريقيا بمافيا تبييض الأموال للمخدرات والبترول، والتي تصل إلى ترليون دولار، ويصب نصفها في النظام المالي الأمريكي، أو في البنوك الأمريكية،و أصبحت بذلك الولايات المتحدة أكبر خزانة وبحيرة تصب فيها الأموال الحرام ، ويشير إلى دور توتال في ذلك، وهي رابع شركة خاصة للنفط في العالم ، ويشير إلى اقتصاديات النفط التى دمرت الريف والبادية ،وجعلت الجميع يهرولون للمدينة على غرار ماحدث في الجابون وجيبوتي وليبيا والسعودية .

أما المستعمرة الفرنسية السابقة ، الكنغو برازفيل والتى تنتج ربع مليون برميل من النفط يوميا ويشكل 90% من الصادرات. وأصبح البرولتاريا في المدن يشكلون 80% من مجموع الشعب كما يشير إلى آخر إبداعات عمر بونقو الذي عين ابنه الماسوني وزيرا للدفاع ص 103. وأوضحت دراسة أن الدول الإفريقية المعتمدة على البترول والمعادن تزداد فرص الحروب فيها بنسبة 23% كل خمس سنوات ، بينما تصل هذه النسب في الدول المعتمدة علي الموارد الأخر ى إلي أقل من نصف في المائة، علما بأن الثروة البترولية قل ماتعتمد على الاستقرار السياسي ، أو البيئة الصحية للاستثمار، ولكنها تعتمد أكثر على الجيولوجي وتكنلوجي الاستخراج وأسعار البترول العالمية .

في عام 1990 ومع انهيار حائط برلين والشيوعية كان لابد أن يمتد الزلزال للنظم الإفريقية الماركسية على غرار نظام الرئيس دينس ساسونيجاسو – وهو ماسوني ماركسي

علـى برازفيـل ، وكانـت بـلاده تضـربها الحـرب الأهليـة وتقبض يوميـا مليـوني دولار مـن عائدات النفط ، الذي أصبح يشكل مصدر الثروة بدلا من تجارة الرقيق ، حيث تم إرسال مليون ونصف المليون من البشر إلى اوربا كرقيق من ذات نقطة تصدير بترول الكنغو برازفيل ومن المعروف أن جارلس ديجول اعتمد برازفيل عاصمة لفرنسا الحرة بعد سقوط فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية في يد هتلر ، وبعد أن استنفدت برازافيل أغراضها قام الفرنسيون بجعلها العاصمة الإدارية لفرنسا الاستوائية التي ضمت الكنغو ، والجابون وا إفريقيا الوسطى وتشاد .

في عام 1960م تبنت الكنغو (برازافيل) الماركسية وتدفق عليها الكوبيون والألمان الشرقيون والروس ألخ .. وفي عام 1965 تم قطع العلاقات مع إمريكا ولكنها أعيدت مرة أخر ى بعد انقلاب ناجح في 1968 ، وعادت شركة النفط الفرنسي الإفريقية في وقت رفع فيه رئيس الدولة الماسوني رسميا راية الماركسية ، ثم تزوج الرئيس الجابوني عمر بونقو (الماسوني) من ابنة الرئيس ساسونيجاسو الماركسي الماسوني ، وقامت شركة نفط الكنغو الفرنسـية بجدولـة ديـون الكنغـو ، ومـع ذلـك وحينمـا جـاءت انتخابـات 1992 ، كـان ساسونيجاسو مكروها ، لذا فقد رماه نسيبه الرئيس عمر بونقو الموكول إليه التصرف باسم فرنسا في المنطقة، وانتخب بدلا منه باسكال ليسوبا وهو وزير وماسوني، وبالفعل أعلن فوزه برئاسة الكنغو ولكن هذا الأخير لم ير اع تقيده، وقام بدعوة شركات النفط العالمية لمائدة الكنغو ، مما أدى إلى حرب أهلية ، وفي هذه الظروف قام نائب الرئيس الأمريكي آل جور بزيارة الكنغو ومقابلة الرئيس ليسوبا الذي استعان بالاسرائيليين لمناصرته في الحرب الأهلية ، ولكن كل ذلك لم يعصم حكومة لسوبا، التي تمت الإطاحة بها بفضل دعم رواندا وانجولا وتشاد. وتمت إعادة – ساسو مرةأخر ى لعرش الحكم، وليصبح بعد انقضاء مؤتمر القمة الإفريقي رئيسا حتى للاتحاد الإفريقي بدلا من الرئيس السوداني البشير ، وأصبح ساسو رئيسا للكنغو ليزيد التعاسة والشفاء والفقر والموت، والحروب والنزوح ،والعطالة والنفي.وأصبح الكنغو يقوم على مشروعية تصدير البترول للشركة الإفريقية الفرنسية ، وأندية الماسون، وعقودات التجارة الخارجية وأمن الغربيين.

ولايختلف امر غينيا الاستوائية التي يقطنها نصف مليون من البشر كثيرا عن الكنغو برازفيل ، باستثناء أن شركة موبيل Mobile هي المسيطرة بالإضافة طبعا إلي رئيس الدولة اوبيانج نجويما Obiany Nguema وزوجته أم الأمة كونستانيكا . ونتيجة لفورة البترول انخفض الإنتاج الزراعي ليشكل فقط 5% من عائدات الصادرات، وتم تصنيف غينيا الاستوائية بأنها دولة قائمة على الإجرام، نسبة لسوابق رئيسها. والذي على الرغم من جرائمه يزوره ابن الرئيس كارتر ويذهب معه للصيد ، وتتسرب أموال النفط من غينيا الاستوائية والكنغو برازافيل ، والجابون لتسيير الحياة السياسية في فرنسا وبريطانيا وامريكا ، لأن الأمو ال تتدفق من هنا دون حسيب أو رقيب لمصلحة السياسيين الأوربيين وأحزابهم لخوض الانتخابات وغيرها ، ويكفي أن العائد لخزينة الدولة لايتجاوز 26% من قيمة نفطها المصدر . وهذا مايجعل رؤساء الدول الغربية يهرولون ، بل جاءت كونداليزا رايس في ابريل 2006 لتعقد معه مؤتمرا صحفيا –وهو الذي قتل من قتل و أبقى من ابقى .

ويستعرض الكتاب سيرة رجل الأعمال اليهودي اركادي جيدومارك Arcade Gaydomark ،والذي يملك أربع جنسيات فرنسية ، اسرائيلية ، انجولية ، وكندية ، علما بأنه من أصل روسي ومولود في روسيا ، وهو الذي يدير تجارة الماس في انجولا التي يصل ريعها إلى بليون دولار، ويتحكم في إنتاج اللحوم في انجولا ، وتحمل بطاقته لقب " رئيس مؤتمر مجتمعات اليهود الدينية الروسية ، " ومواصفات القيادة بالنسبة له " الكاريزما " الجاذبية والهيبة والفساد والقدرة على الاستمرارية ، ولفترة كان يتعامل مع يونيتا unita ولكن لما دالت دولتها ، أصبح من رواد التعامل مع انجولا الدولة ، والتي أصبحت ميزانيتها في حدود 23 بليون دولار، أي ضعف ميزانية السودان، وأصبح النشاط الاقتصادي في انجولا محصورا في قطاع الاستثمار الأجنبي، والبناء والصيرفة ،ونشاطاتها التجارية والاستيراد و التصدير، ليذهب القطاع الزراعي متلاشيا ومنسيا، وأصبح عشرون ألفاً من هل انجولا يعملون في قطاع النفط ، أي من كل سبعمائة قادر علي العمل تملأ وظيفة واحدة فقط في قطاع النفط .

دار الجزء السابق حول الطاريء الذي نزل على إفريقيا ،والمتمثل في اقتصاد النفط، وأن النفط نعمة وهبة، ولكنه تحول نتيجة للحكومات الإجرامية والمافيا العالمية إلى نقمة ولعنة علي إفريقيا ، حتى أدى إلى الفساد والحروب وبروز الدولة الريعية التي وضعت عينيها على النفط ، وأهملت بقية الشأن، مما إدى إلى ورم سرطاني في عائدات الدولة التي تسربت للمافيا ،والعصابات والأحزاب السياسية،تحت مختلف دعاو ى التمكين والايديولوجية والسرية والتدليس على المحكومين، وأن مايدور في انجولا والجابون والكنغو برازفيل وغينيا الاستوائية ونيجيريا ، أصبح يؤثر فى السياسة في أوربا وامريكا، لأن أموال النفط السائبة تتسرب للأحزاب والمنظمات السياسية الاوربية،و أجهزة الاستخبارات كما تؤثر فى حركة السياسة في مجمل إفريقيا، وأن مفعول هذه النعمة للأسف في الجسم الإفريقي والنخب، أصبح كمفعول الهيروبين وسط الشباب والمدمنين .

النفط وا إتلاف روح أمة نيجيريا

تصلح قصة الحاج مجاهد دوكوبو اساري ، لتكشف عن سرطان النفط في نيجيريا، وينتمي لقبيلة الاجاوا Ajaw وهي كبر ى قبائل دلتا نهر النيجر ويأتي ترتيبها رابع قبيلة في العدد علىمستو ى نيجيريا ،بعد الفلاني / هوسا /واليوربا وا إقبو .

يشن ساري، وهو سليل أسرة غنية ومتجذرة، حربا على شركات النفط الأجنبية، واليوم هو قابع في السجن ، لأن عائدات النفط لاتظهر بين بني شعبه ، علما بأن الدلتا تجلس على احتياطي نفطي يبلغ 35 بليون برميل ، يستخرج منه يوميا حوالي المليونين ونصف المليون برميل من النفط الخام ، وأصبح هذا النفط يغذي الولايات المتحدة بنسبة 10% من احتياجاتها يوميا .

ونسبة للأخطار التي تهدد هذا النفط، بالإضافة إلى نفط غرب إفريقيا، أوصى معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية المتقدمة ، والذي يسيطر عليه اليهود بتأسيس قيادة عسكرية أمريكية ،تتخصص في إفريقيا ، لحماية النفط الإفريقي من النظم غير الموالية، وكذلك من الصين والقاعدة. وكذلك لتسجيل حضور استخباراتي، وعسكري وأمني، واقتصادي وسياسي ، في هذه القارة بمواردها المتعددة ،ولمواجهة أمثال دوكويوا ساري.

ولد اساري في يونيو 1964م ، وتم تعميده مسيحيا، ودرس في مدارس الكنيسة، ثم أصبح ماركسيا تروتسكيا ، في الجامعة. ثم ربما ذهب إلى ليبيا وأفغانستان. وتحول إلى الإسلام عام 1988م. ثم أعلن الجهاد على شركات النفط الأجنبية " أساسا شل " حينما وجد أن معظم فتيات القبيلة تحولن من مهنة الزراعة إلى الدعارة، لخدمة احتياجات العاملين بالنفط، وبرولتاريا مدن النفط ، كما تلاشت زراعة اليام والكسافا ومطلوبات الغذاء المحلي. كما ماتت الأسماك نتيجة للتلوث ، وانتشرت الأمراض الجديدة ، كما لم تبرز أبدا على سكان المنطقة ثمار العشرين بليون دولار عائدات النفط سنويا .

بدأ اكتشاف النفط عام 1956، ونجحت المقاومة المحلية في إيقاف ضخه في الفترة من 1988/76م مائتي مرة. وامتدت المواجهات في التسعينيات إلى درجة تدخل السلطة الفدرالية ، واعتقال الكاتب النيجري سارو ويوا Wiwa ،ثم تقديمه لمحاكمة لإعدامه في نوفمبر 1995م مع ثمانية آخرين. وأدى ذلك لتوهج المقاومة، ولمعان قيادة مجاهد اساري ، وأصبحت مجموعة أساري أهم مجموعة من مجموعات المقاومة المختلفة، التي وصل عددها إلى خمسين مجموعة ، وأصبحت المقاومة العنيفة هي أساس المجتمع المدني، والحياة السياسية في نيجيريا ، حتى وصلت التقديرات إلى أنه يتم يوميا الاستحواذ علي مابين 275 ألف برميل، إلي ستمائة ألف برميل من قبل هذه المجموعات،أي مايعادل عائداً يساوي 5 بلايين دولار سنويا ، وأن جزءاً من هذه الأموال يتسرب إلى الاحزاب السياسية في الولايات المتحدة .

في عام 2005 تم اعتقال اساري، ولكنه مايزال يدير من معتقله حركته ، وأدى النفط إلى بروز حركة انفصالية في المقاطعة ، وأدى ذلك إلى أن تصبح هوية الإقليم هي هوية أبنائه وليست الدولة ، لأن أبناء الإقليم أخذوا يحسون أن الوطن أو البلد ضدهم وعلاقته بهم هي نهب ثروتهم ، كما تأكدوا من أن النظام الدولي وعلى رأسه امريكا يتواطأ مع قيادة البلد وشركات النفط لنهب ثرواتهم ، لأن بنوك الولايات المتحدة تقبل الأموال والودائع المهربة القائمة على المضاربة غير المشروعة والأموال المسروقة وأموال الجريمة ألخ .

ولايخلو منطق المقاومة من حقائق ، في وقت وصل فيه حجم الأصول والأموال غير الخاضعة للضرائب إلى ثلث الأموال الحائمة في العالم ،وهي تعمل في مجال المخدرات ، والجنس والقمار وتجارة الر قيق ، والإرهاب بمختلف أشكاله ، وهذه الأموال هي التي تدور عليها تجارة السلاح والهروب ، وفي هذا الإطار فإن مقاطعة الحكومة الأمريكية للسودان، ومنعها للشركات الأمريكية من العمل في السودان ، تبدو كالنكتة لأن أول خارق لهذا القانون هو أمريكا ذاتها ، التي استثنت الصمغ لمصالح بعض الشركات.

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وحيثما كان ربح فإن الشركات الأمريكية تعرف كيف تلتف حول الموضوع ، لأنها خبير ة بإدارة ملف الابتزاز والمخدرات وغيرها ، لأن المجارمة العالميين يفكرون عولميا .

ويجتهد مؤلف الكتاب في الوصول لمعادلة لتقليل حجم الفساد في تجارة النفط الإفريقي، وقترح معادلة أخذ أموال النفط من أيد السياسيين وا ٍعطائها مباشرة للمواطنين وذلك بتقسيم عائدات النفط مباشرة علي المواطنين ، حتي يتمكنوا من ادخارها، واستثمارها بطريقتهم، وأن تصبح علاقة الدولة بهم فرض الضرائب والرسوم وتقديم الخدمات المدفوعة الأجر ، ولكن هل تنجح مثل هذه المعادلة في إفريقيا ووسط النخب الإفريقية المدربة علي السطو على الأرواح، والانتخابات وأقدار ومصائر البلاد والعباد.ربما كانت مجرد فكرة للشحذ الذهني والعصف الفكري. في وقت استوردت فيه الولايات المتحدة في عام 2005 (721) مليون برميل من النفط الخام من إفريقيا ، بمعدل مليوني برميل يوميا مقارنة 556 مليون برميل استوردتها في ذات العام من السعودية و84 مليون برميل " أي 230 ألف برميل يومي ًا من الكويت ومعظم إنتاج الخليج يذهب لآسيا وأوربا .ومن المتوقع أن يزداد اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على النفط الإفريقي أكثر فأكثر في السنوات المقبلة .

وبما أن السودان هو قلب إفريقيا ، وبما أن السودان مرشح لتنامي إنتاجه من النفط، وبما أن الولايات المتحدة عينها كذلك علي النفط السوداني، وعلى إدارته ، فالسودان أمامه ثلاثة تحديات وهي :

1- القسمة العادلة المفعمة وبشفافية لموارده النفطية، حتي يتجنب مايحدث في غرب إفريقيا من حروب حول النفط.

2- الأمر الثاني الشفافية الكاملة في حسابات النفط .

3- الأمر الثالث إدارة أموال النفط بصورة تجعلها تدور في المجالات الإنتاجية،والتي هي أساسا الزراعة والصناعات الزراعية ، واستصلاح الأرض والمياه، وخلق الوظائف الكفيلة بامتصاص العطالة، حتى تدور أموال النفط في الجسم الإنتاجي، ويصبح قادرا بعد فترة علي تحقيق الوفرة ، والنهضة وتدريب الأيدي العاملة، التى تمكن من الاستغناء عن أمراض الدولة النفطية الريعية، التي يتفشى فيها الاعتماد على السلطة الاستراتيجية الواحدة ، ومايصاحبها من كسل وعقلية استهلاكية ، وتبديد الموارد في قطاعات غير إنتاجية .

ولا يمكن تطوير الزراعة دون تطوير البنية التحتية من طرق واتصالات، وكان مشروع الجزيرة ناجحا لأنه قام على بيئة اتصالية ناجحة ، من سكك حديدية داخلية، واتصالات وجسور، وطرق وخدمات مياه وتعليم وكهرباء ،أدت للاستقرار وجعلت هذا المشروع أساس حياة الدولة السودانية ،ومشروع السودان الحديث منذ عام 1926 حتى أواخر أيام نميري أى لمدة ستين سنة ، فهل نستطيع إعادة تعمير المشروعو رده لشبابه، وحيويته، كما هل نستطيعنإجاز مشاريع أخر ى في حجمه في الرهد ،وبحر العرب، والرنك ، والدالي والمزموم ألخ .. وذلك يحتاج للرؤية والدراسة والتخطيط والبنية التحتية والقيادات ، ولكنه كذلك أمر ميسور إذ تو افرت له الإرادة والمال .